مجلة المعيار ISSN: 2588-2384
مجلد: 22 عدد: 44 السنة: 2018

مظاهر عناية المدارس القرآنية بمبادئ التجويد والرسم والضبط

–عرض تجربة–

عبد الرحمن معاشي
جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة
maachiabdou@gmail.com

تاريخ الوصول: ..... / القبول:..... / النشر على الخط: .....
Received: ..... / Accepted: ..... / Published online: .....

ملخص:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

عُنيت الجزائر كأي بلد إسلامي بالقرآن الكريم؛ تعليماً، وحفظاً، وتلاوةً وتدبراً، وما فتئت مستمسكة بهذه السنة الحميدة إلى يوم الناس هذا.

وقد شكلت المدارس القرآنية التقليدية في الجزائر عموما –على بساطتها وقلة إمكاناتها– وفي منطقة الأوراس على وجه الخصوص النواة الأولى لتعلم مبادئ التجويد والقراءات والرسم والضبط، فضلا عن حرصها على حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية، والفقه، والفرائض والتربية وغيرها من العلوم، فأخرجت من خلال تلك الجهود المضنية أجيالاً متعاقبة من حفظة القرآن الكريم ومعلميه.

تطرح هذه الورقة إشكالا مفاده: إلى أي مدى أسهمت الكتاتيب والمدارس القرآنية بمنطقة الأوراس –غير المتخصصة– في الدرس الإقرائي والتربوي؟

وما هي أهم ملامح ومظاهر عناية الكتاتيب والزوايا القرآنية بالمنطقة بعلوم القرآن عموما وبمبادئ التجويد والرسم والضبط خصوصا؟ وما أثر ذلك على الجانب التربوي؟

ترصد الورقة هذا الموضوع المهم من خلال الوقوف على بعض النماذج العملية في الساحة الإقرائية الجزائرية والسماع من بعض الأفواه والمشايخ حكاية المسيرة العلمية والقرآنية في تلك الزوايا المتواضعة وما صاحبها من قساوة الطبيعة والظروف المحيطة وبدائية الإمكانات.

وأنوه ههنا بأنَّ أغلب المادة العلمية التي اعتمدتها في هذه الورقة استقيتها من واقع التعليم القرآني في منطقة الأوراس، والذي كنت شاهدا عليه إبَّان فترة تتلمذي ومن أفواه المشايخ ومعلمي القرآن الكريم في تلك الفترة، وقد ظفرت خلالها بمبادئ متواضعة حول علم التجويد والرسم والضبط.

كما أشير إلى أنَّ هؤلاء الشيوخ ومعلمي القرآن الكريم ليسوا من ذوي الشأو العلمي والمستوى المعرفي الكبيرين في علم الأداء والرسم، لأن وظيفتهم الأساسية هي تحفيظ القرآن الكريم، ومع ذلك فإنهم توارثوا معلومات في الدَّرس القرائي والتجويدي وكذا في رسم القرآن وضبطه، أعتقد أنَّ لها –على سذاجتها وبساطتها– قدراً من الأهمية لا يجوز أن يُنكر ولا أن يُغضَّ عنه الطَّرف، ويكفيك أنك لو نظرت إلى ما يحصِّله الطالب في الجامعة الجزائرية خلال سنوات دراسته مجتمعة، لو فعلت لاستقللت هذا الجهد ولبدا لك في غاية الضعف والتردِّي إذا قارنته بما يملكه أولئك الشيوخ السُّذَّج من معلومات قيِّمة قد تذهب بذهابهم.

هذا، وإني سأعرض هذا الموضوع في العناصر الآتية:

تمهيد:

أولا: مظاهر العناية بأحكام النون الساكنة والتنوين تجويدا وضبطاُ

ثانيا: مظاهر العناية بترتيب الحروف وأنواع الألفات

ثالثا: مظاهر العناية بأحكام الفتح والإمالة

رابعا: بعض الأقوال المحفوظة في مباحث قرآنية مختلفة

خاتمة:

الكلمات المفتاحية: المدارس القرآنية؛ الزوايا؛ الرسم؛ الضبط؛

The manifestations of Quranic schools care about the principles of Tajweed, Writing and Adjusting

-View experience-

Abstract:

Algeria, like any Muslim country, has been interested in the Holy Qur'an; teaching, memorizing, reciting and understanding. It has always maintained this good method to this day.

The traditional Quranic schools in Algeria, in their simplicity and lack of potential, have been the primary nucleus for learning the principles of Tajweed, reading, drawing the Quranic character, she also made sure to memorize the Holy Quran, learn the Arabic language, jurisprudence, education and other sciences. Through these strenuous efforts successive generations of memorizers of the Koran and teachers.

The paper deals with this important subject by standing on some practical models in the context of the Algerian reading and hearing from some of the mouths and sheikhs the story of the scientific and Quranic journey in those humble angles and

the accompanying harshness of nature and the surrounding circumstances and the primacy of potentials.

Key words:Quranic schools; mosques; Writing the Koran; Adjusting the Koran

تمهيد:

لم يكن التجويد في أغلب الزوايا والكتاتيب القرآنية القديمة في منطقة الأوراس محل اهتمام وعناية، لأن هذه المدارس غير متخصصة في علم القراءات والتجويد كما أنَّ أغلب شيوخها لم يحيطوا بهذا العلم خبراً، ولم تظهر مدارس القراءات إلا مؤخرا، غير أن بعض الشيوخ العارفين ببعض أحكام التجويد لا يبخلون عن تلاميذهم بشيء من الشذرات والمعلومات عن أحكام التلاوة والرسم وغير ذلك، على أنهم لا يتوجَّهون إليها رأساً، لأنَّ الأصل هو تعلُّم القرآن الكريم وتحفيظه وما جاء من أحكام التلاوة أو غيره فإنه يدون على هامش اللوح على غرار بعض المتون والمنظومات العلمية[1].

يقوم المعلم بتذييل اللوحة ببعض تلك الأحكام ويبينها للتلاميذ بالقدر المستطاع، ومن أهم تلك الأحكام ما يأتي:

أولا: مظاهر العناية بأحكام النون الساكنة والتنوين تجويدا وضبطاُ

أحكام النون الساكنة والتنوين هي كما عند أهل التجويد أنواع أربعة: الإظهار، والإخفاء، والإدغام والقلب، يقول الإمام ابن الجزري في المقدمة[2]:

وحكـــم تنـــوين ونـــون يلفـــى ★ إظهـــار إدغـــام وقلـــب إخفـــا
فعنـــد حـــرف الحلـــق أظهـــر وادغـــم ★ في الـــلام والـــرا لا بغنـــة لـــزم
وأدغمـــــن بغنـــــة في يـــــومن ★ إلا بكلمـــــة كـــــدنيا عنونـــــوا
والقلـــب عنـــد البـــا بغنـــة كـــذا ★ إخفـــا لـــدى بـــاقي الحـــروف أخـــذا

[1] يقوم كثير من الشيوخ الذين فتح الله عليهم بحفظ بعض المنظومات والمتون بتذييل ألواح طلبتهم بأبيات منها حتى يجتمع لديهم إلى جانب حفظ القرآن الكريم مجموعة مباركة من المتون، ومن أشهر هذه المتون التي تُذيَّل بها الألواح: متن ابن عاشر، ومتن الرحبية في الفرائض بابن المتفنِّنة أو المتقنة، والآجرومية لابن آجروم، قصيدة الهمزية و البردة أو الكواكب الدريَّة في مدح خير البرية لشرف الدين البوصيري وغيرها. ويلاحظ أنهم لا يهتمون بمتون التجويد أو الرسم، وقد سألت أبي عن مدى معرفتهم واعتمادهم تحفة الأطفال أو المقدمة الجزرية أو الشاطبية فأجابني بعدم معرفتها.

[2] المقدمة الجزرية، ابن الجزري، أبيات: رقم: (64، 65، 66، 67)، والدرر البهية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، أسامة بن عبد الوهاب، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط2، 1425هـ- 2005م، ص64-65.

1- الإظهار:

والإظهار في اصطلاح علماء التجويد: وهو عبارة عن إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في المظهر، فيظهران إذا وقع بعدهما حرف من حروف الحلق الستة[1].

وحروفه مجموعة في قولهم: "أخي هاك علما حازه غير خاسر".

وقولهم: هَمْزٌ فَهَاءٌ ثُمَّ عَيْنٌ حَاءُ مُهْمَلَتَانِ ثُمَّ غَيْنٌ خَاءُ[2]

ومعلوم أن أغلب شيوخ الزوايا والكتاتيب لا يعرفون هذه المصطلحات ولا يتعاملون مع هذه المنظومات، ويستعيضون عن ذلك بتعليم التلاميذ حروف الإظهار بطريقتهم الخاصة؛ فيدونون في أسفل اللوحة –أي أسفل الآيات المقررة على الطالب حفظها- ذات الحروف ولكن بترتيب خاص كما يأتي:

(أَهْخَعٍ حَغٍ) فيحفظها التلاميذ كما هي ويبينون لهم أنَّ النون الساكنة تضبط بالسكون الظاهر إذا تلاها أحد هذه الحروف[3]؛ وذلك كقوله تعالى: (ينهون)، و (ينأون)، و (والمُنْخنقة) وغيرها.

وإذا تلت أحدُ هذه الحروف أيضا تنوينا، جاء متراكباً[4]؛ نحو: ژ❺♌♦⬀♌♑✝♌⓫ ❶✈✍♦🕘ژ، ژ⌘↘◘✌♌◘⬀❁☪✠ژ و ژ□♌”➽❶⬀ᘓ☜⬀❁♓♌■ ■☪❁❽⚐☼👎♉↘ژ ؛ فيجتمع لدى الطالب بذلك علم بحكم إظهار النون الساكنة والتنوين وعلم الضبط في آن معاً.

[1] فتح الأقفال شرح تحفة الأطفال في علم التجويد، ت: عبد الكريم حسين السعدي وحسن غازي السعدي، جامعة بابل، بغداد، د..ط، 1431هـ-2010م، ص22.

[2] تحفة الأطفال والغلمان في تجويد القرآن، سليمان الجمزوري، أبيات: (07-08)، وفتح الأقفال شرح تحفة الأطفال في علم التجويد، ص21-22.

[3] يسمون هذا السكون الظاهر وقفة.

[4] أي أن حركتي التنوين واحدة فوق الأخرى، والعلة في تركيب التنوين عند حروف الحلق خاصة الدلالة على البعد الذي بين التنوين وحروف الحلق في المخرج. انظر: كتاب أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، أبو داود سليمان بن نجاح، ت: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، 1427هـ، ص14.

2– الإدغام والإخفاء:

أ– الإدغام: يعرف الإدغام في اصطلاح أهل الأداء بأنه التقاء حرف ساكن بآخر متحرك، بحيث يصيران حرفا واحدا مشددا يرتفع اللسان عنه ارتفاعة واحدة[1]، وحروفه مجموعة في قولهم: (يرملون).

والإدغام قسمان: إدغام بغنة: ويسمى إدغاما ناقصا، وحروفه مجموعة في قولهم: (ينمو).

وإدغام بغير غنة: ويسمى إدغاما تاما، وحروفه مجموعة في قولهم: (رل) [2].

ب– الإخفاء: وهو في اصطلاح أهل الأداء حال بين الإظهار والإدغام[3].

وحروفه مجموعة في أوائل كلمات البيت[4]:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظالما

وهذه الحروف –أعني حروف الإدغام والإخفاء– يتعامل معها الشيوخ أيضا بذات الطريقة، فيدونون هذه الحروف أيضا دون تمييز بينها في ذيل اللوح أسفل الآيات المقررة على التلميذ حفظها، كما يأتي:

(فَكَفَّشُطٍ سَتَصُدٍ ذُ ضِثْ جُزْ لَّمْ نَرَ)[5]

ويعنون بهذه الحروف أنَّ النون الساكنة لا تضبط بالسكون إذا تلاها أحد هذه الحروف؛ كقوله تعالى: ﴿ [نوح:21]، وقوله: ﴿ وقوله تعالى: ﴿ [الطارق:06]، وكقوله ﴿ وقوله: ﴿ وهكذا مع بقية الحروف المذكورة أعلاه.

وإذا تلت أحد هذه الحروف أيضا تنوينا[6]، جاء متتابعاً؛ نحو: قوله تعالى: ﴿ [النساء: 34]، وقوله: ﴿

---

[1] فتح الأقفال، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص25.

[3] الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البَاذِش، ت: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، د.ط، د.ت، ص110.

[4] تحفة الأطفال، بيت رقم: 16.

[5] اجتمعت في هذه الحروف حروف الإخفاء والإدغام جميعاً، لأنهم أوردوها تحت طائلة الضبط لا التجويد.

[6] وإن أتى بعد الاسم المنون في الأحوال الثلاثة من النصب والجر والرفع باقي حروف المعجم سوى حروف الحلق من حروف اللسان والشفتين جعلت النقطتان من الحركة والتنوين متتابعتين واحدة أمام أخرى فالمتقدمة منهما التي تلي الحرف هي الحركة والمتأخرة هي

ژ🕐⚐·◘🡕♌✡⌖🡕🡖❹♎② 🕓❷🡖◘🡕❁ℯ𝓇 ☜⌦✡✠ 🕐❑🡕ᘓ☜☼🡕ᘔ❹♎②
[البروج: 21-22]، وقوله: ژ②♎🡕✍■🕛 ❒ॐ✌✠✡🀫🡕♊✡✠☜🕘ژ، وقوله:
ژ❒ᘓ✌🕮🕭☜🡕✇☪❶ᘓ🖫✂♦🕐 ②⌑🡕❖ ☠ℯ𝓇🡖✡☜🡕✇ℯ𝓇❖🕐
☜ᘓ🡕☜②⌑🡕❁☪❍🡕❁⇳☜ᘓ♎➢♦🡕❁❍ ➢♦🡕ᘓ♎☜🡕❁☪❍🡕❁①🡖♌⑩🡕♌ژ [محمد: 15] وهكذا.

هذا، ويبين الشيوخ لطلبتهم في ذات الوقت أن النون الساكنة أو التنوين تدغم عند حروف: (لم نر) وتختفي عند باقي الحروف (فكقشط...)، فيحفظها التلاميذ كما هي فيجتمع لدى الطالب بذلك علم متواضع بحكم إخفاء النون الساكنة والتنوين وعلم مقبول بالضبط في آن معاً.

غير أن المتأمل لهذه الحروف وأحكامها يسجل الآتي:

– سيقت هذه الحروف مساق معرفة الضبط فيها، ولذلك اجتمع عددها في تسع عشرة حرفاً دون تمييز بين حروف الإدغام والإخفاء؛ بمعنى أنَّ ما عدا حروف الحلق يجري فيها هذا الحكم[1]، كما أنها اقتصرت على أربعة من حروف الإدغام، وهي: (ل، م، ن، ر)، وهذه الحروف –كما سبق– تعرَّى النون الساكنة عن علامة السكون عندها، وأما التنوين يكون عندها متتابعاً.

– يلاحظ عدم ذكر حكم (ي، و) ولم أقف على إشارة لهما من شيوخ الكتاتيب والزوايا، ولعلَّ عدم ذكرهما في العبارة السابقة يعني أنَّه يُجعل على النون قبلهما علامة السكون[2] ويشدُّ ما بعدها.

– لم يذكروا في عبارتهم هذه حرف "الظاء"، وليس خارجاً عن الحكم السابق، لأنهم ينبهون التلاميذ على إلحاقه بحكم ما سبقه، وإنما لم يذكر ضمنها لأنَّ الضاد في كلمة (ضِثْ) ناب عنه، إذ يجوز عندهم كتابة الكلمة بالظاء أيضا (ظِثْ) كما يجوز كتابتها بالضاد.

3– القلب: وهو في الاصطلاح قلب النون الساكنة أو التنوين ميما خالصة مخفاة بغنة.

يقول الجمزوري في تحفته: والثالث الإقلاب عند الباء ميما بغنَّة مع الإخفاءِ[3]

التنوين. انظر: المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو، ت: د. عزة حسن دار الفكر، دمشق، ط2، 1407هـ، ص69.

[1] المصدر نفسه، ص69.

[2] وحكم المسألة فيه خلاف بين من يثبت علامة السكون عندهما ومن يعريها عنهما، وقد اختار الداني الوجه الأول؛ فقال: "وهذا المذهب في الاستعمال أولى وفي القياس أصح"، واختيار أبي داود أيضا في التنزيل؛ فرقا بين ما يدغم إدغاما صحيحا وبين ما يبقى صوته. انظر: نقط المصاحف، ص74، كتاب أصول الضبط، ص84-85.

[3] تحفة الأطفال، بيت رقم: (13).

يبيِّن شيوخ الزوايا والكتاتيب القرآنية هذا الحكم ولكن بطريقة خاصة بهم تتناغم ومستواهم العلمي آنذاك، فيصوِّرون النون الساكنة بعدها الباء كما في قوله تعالى: ﴿ۢ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ أو قوله: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ ﴿ۢ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ ميماً حمراء صغيرة[1] مائلة الخط جهة اليمين ويعلِّلون ضبطها بتلك الصورة أن النون الساكنة أو المنونة (تخجل)[2] إذا وليتها الباء!

ثانيا: مظاهر العناية بترتيب الحروف وأنواع الألفات

1- ترتيب الحروف:

تسمى الحروف العربية بحروف المعجم؛ سميت بذلك من التعجيم، وهو إزالة العجمة بالنقط[3]، وضبطت بثمانية وعشرين (28) حرفا، وقد خضعت هذه الحروف لترتيبات مختلفة تفاوتت في الوجاهة والمعايير المستعملة:

أ- الترتيب الألفبائي:

ويسمى هذا الترتيب بالهجائي تمييزا له عن الأبجدي، كما يسميه بعضهم الترتيب الأبتثي، ويتكوّن من ثمانية وعشرين حرفًا هي بالترتيب:

(أ. ب. ت. ث. ج. ح. خ. د. ذ. ر. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ع. غ. ف. ق. ك. ل. م. ن. هـ. و. ي).

رتبت الحروف الهجائية العربية ترتيبا شكليا يعتمد "الأشباه والنظائر"؛ أي تشابه الحروف من حيث رسمها، وهو ترتيب مبني على المشابهة بين الحروف في الشكل، والرسم، والتقابل بين الإعجام والنقط.

---

[1] حكم النون إذا لقيت الباء وقلبت ميما في ضبطها خلاف بين المتقدمين، وهو أن تعرى النون من علامة السكون، ويجوز جعل ميم صغرى على النون ليدل بذلك على انقلابها إلى لفظها واختار الداني الأول وأبو داود الثاني وعليه العمل. المحكم في نقط المصاحف، ص76، وأصول الضبط، ص85.

[2] وهذه العبارة تدل على سذاجة معرفتهم مع صحَّتها، ولعلَّ المقصود منها تقريب الفهم لدى الطلبة آنذاك، فنقل عنهم طلبتهم الصورة وأهملوا التعليل، وحدَّث هؤلاء من بعدهم وهكذا حتى انتهى إلينا بهذه الصورة وبهذا الفهم الساذج.

ومن أمثلة ذلك أيضا: ما ذكروه عن إخفاء الميم الساكنة عند الباء؛ فقد توارث الشيوخ عبر الزمان كلاماً في تعرية الميم عن علامة السكون، كقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ مفاده بالعامية : "الميم عند الباء ما يصحَّحْها غِير ولْد الكلبة" أكرم الله القارئ والسامع. والشاهد أنَّ صاحب هذا الكلام (الشيخ) يعرف حكم المسألة ولا شكَّ، لكنَّه قد = يقصد منه التشديد على الطلبة في أخذهم بزمام علم الضبط والرسم وغيرهما، فيقال تنفيرا من ارتكاب الخطأ في مثله، ويبقى المَثَلُ متوارثا عبر الأجيال وقد يُهمل سياقُه وتعليل حكمه بعد ذلك.

[3] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، مادة (عجم)، 12/ 385.

ويرجع هذا الترتيب إلى اللغوي المقرئ نصر بن عاصم الليثي (ت 89 هـ) بتكليف من الحجاج بن يوسف الثقفي (ت 95 هـ)[1].

وقيل أن أول من وضع حروف (ا ب ت ث) نفر من أهل الأنبار من "إياد القديمة"، وعنهم أخذت العرب[2].

والترتيب الهجائي المذكور أعلاه هو ترتيب المشارقة.

أما المغاربة فلهم ترتيب خاص يتميز عن السابق؛ وذلك كما يأتي:

أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، ي.

وقد استعمل علماء المغرب هذا الترتيب في مصفاتهم، مثل الأئمة: ابن عبد البر في التمهيد، وابن منجويه في رجال صحيح مسلم، والباجي في التعديل والتجريح.

وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ شيوخ الزوايا والكتاتيب القرآنية في الجزائر يعتمدون ترتيب المغاربة، مع زيادة حرف اللام ألف (لا) بعد حرف (و) الواو وقبل حرف (ي) وزيادة الهمزة (ء) في آخر المجموعة.

ب- الترتيب الأبجدي[3]:

يختلف ترتيب هذه الحروف بين المشارقة والمغاربة أيضا؛ فترتيبها كالتالي:

"أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط، ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص، ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ".

والترتيب الأبجدي للحروف العربية في المغرب هو كالتالي:

"أ. ب. ج. د. هـ. و. ز. ح. ط. ي. ك. ل. م. ن. ص. ع. ف. ض. ق. ر. س. ت. ث. خ. ذ. ظ. غ. ش."

وقد استعملها الإمام الشاطبي الأندلسي الرعيني، ما عدا الواو أخرجها من الترتيب واستعملها كفاصلة، ونبه على هذا العد العلامة الضباع في شرحه على الشاطبية.

---

[1] إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406 هـ- 1982م، 1/ 41، و الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م، 11/ 239.

[2] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، بيروت، ط4، 1422هـ- 2001م ، 8/ 62.

[3] لا يعرف الشيوخ هذا الترتيب الأبجدي ولم أقف على من ذكره لطلبتهم إطلاقا رغم أنه معروف عند المغاربة، ولعل السبب في ذلك عدم اطلاعهم؛ فقد سبقت الإشارة أن هؤلاء المعلمين والشيوخ محدودو الثقافة والاطلاع فيما عدا القرآن الكريم.

وسبب هذا الاختلاف بين المشارقة والمغاربة في الترتيب الأبجدي للحروف العربية هو أن المغاربة يروون الترتيب الأبجدي عن الأمم القديمة وبخاصة الأمم السامية، على غير ما يرويه عنهم المشارقة.

ج- الترتيب الصوتي[1]:

رتب الخليل بن أحمد صاحب معجم العين حروف معجمه الذي سمّاه معجم العين ترتيبًا صوتيًا، فقلَّبَ (أ ب ت ث) فوضعها على قدر مخرجها من الحلق كما يأتي:

(ع ح ه خ غ – ق ك – ج ش ض – ص س ز – ط د ت – ظ ث ذ – ر ل ن – ف ب م – و ا ي – همزة)[2]. ونراه في هذا الترتيب قد عد الألف صوتًا من أصوات العربية.

أما الترتيب الصوتي الذي تلا الخليل فقد بدأ بالأصوات الشفوية وانتهى بأصوات الحلق، بينما كان ترتيب الخليل مبتدئًا بالحلق ومنتهيًا بالشفاه.

ونجد أن ابن جني يصف أمر ترتيب الحروف في كتاب العين بأن فيه خطلا واضطرابا ومخالفة[3]، ورتب الأصوات العربية كالتالي:

(و. م. ب. ف. ث. ذ. ظ. س. ز. ص. ق. د. ط. ن. ر. ل. ض. ي. ش. ج. ك. ق. خ. غ. ح. ع. ه. ا. أ)[4].

وهكذا عد ابن جني بدوره الألف صوتًا من أصوات العربية.

2- أنواع الألفات (الهمز):

عُني شيوخ الزوايا والمدارس القرآنية بمنطقة الأوراس بتحفيظ الطلبة أنواع الهمز أو الألفات، بحيث لا يتخرَّج الطالب من المدرسة –أي يختم القرآن الكريم حفظاً– إلا وهو يجيد رسمه وضبطه ويميز بين أمور كثيرة، من أهمها أنواع الألف، وعدَّتها عندهم إحدى عشرة ألفا ولها تسميات خاصة، سأشرع في بسطها مع التمثيل:

أ- ألف الوصل: ويسمونه "**وصلي**": ويأخذ صورتين، وهما: (✈❁✌)، (✌🅞✍).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ژ ☞ꕥ”Ω✌❁✈☞⓪⑦⇗❑ϒ☞✈❁⇗⓹❹☠⑦❹☪❁⇗⑦⓪”ϱ ژ [البقرة: 50]، و قوله: ژ ꕥ☞✠✡☜✌🅞✍❁♦◩❻☜◹⇖ژ [البقرة: 59]، وجاء الألفان معا في قوله تعالى:

---

[1] لا يعرف الشيوخ أيضا هذا الترتيب الصوتي، وإنما ذكرته مع الترتيب الأبجدي عرضاً وإتماما للفائدة.

[2] كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، 1/ 48.

[3] سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: حسن هنداوي دار القلم، دمشق، ط1، 1985م، 1/ 45.

[4] المصدر السابق، 1/ 46- 47.

ژ [هود: 41].

ب- وصل الضم: وصورته هكذا: ( )

نحو: ژ [البقرة: 49].

ج- مضموم: ويقصدون به أنَّ علامة الهمزة نقطة بالحمراء في وسط الألف أو أمامها[1]، وصورته هكذا:

( ).

نحو: ژ [البقرة:68]

د- مفتوح: وصورته هكذا: ( ).

نحو: ژ ژ [البقرة:58].

هـ- مكسور: وصورته هكذا: ( )

نحو: قوله تعالى: ژ [البقرة:282]، وقوله: ژ ژ [المؤمنون:26].

و- كل شيء: وصورته هكذا: ( )

نحو: ژ ژ [البقرة: 59]، وقوله: ژ ژ [التوبة: 80].

ز- بدل: وصورته هكذا: ( )، ( ).

ويقصدون به جعل الهمزة الأولى نقطة بالصفراء بعد الألف في السطر، وحركتها عليها نقطة بالحمراء إن كانت مفتوحة، ومن تحتها إن كانت مكسورة وأمامها إن كانت مضمومة، وتجعل الهمزة المسهلة بعدها نقطة بالحمراء سواء أبدلت حرفاً خالصا أو جعلت بين بين، في رأس الألف إن كانت مفتوحة، وفي وسطها إن كانت مضمومة[2]، وتحتها إن كانت مكسورة[3]،

ومن أمثلته: ژ [البقرة: 12]، و ژ [مريم: 18]، وقوله: ژ

---

[1] كتاب أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، أبو داود سليمان بن نجاح، ص159.

[2] غير أن الشيوخ والمعلمين يسمون الألف في هذه الحالة: (ٱ) بوصل الضم.

[3] أصول الضبط، ص173.

[الشورى: 48].

ح– همزة النقل: ويسمونها (**نقلي**): ويأخذ ثلاث صور، وهي: ( ) ، ( ) ، ( )

[البقرة: 94]، و [سبأ: 08]، و

[سبأ: 17].

وقد عُني شيوخ الكتاتيب والزوايا بتقييد بعض المواضع التي ورد فيها تنوين بعده ألف النقل، فجمعوا أحرفه الثمانية في قولهم: (طَشْ[1] بِوَجْعٍ كحْ[2] زَغْ...)[3]؛ وتحقيقه هذه العبارة من القرآن ما يأتي:

(الطاء): في قوله تعالى:
[إبراهيم: 24].

(الشين): في قوله تعالى:
[لقمان: 27].

(الباء): في قوله تعالى:
[الكهف: 95].

(الواو): في قوله تعالى: 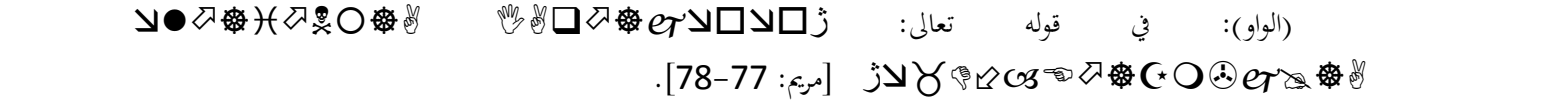
[مريم: 77-78].

(الجيم): في قوله تعالى:
[الإسراء: 98-99].

(العَيْن): في قوله تعالى: 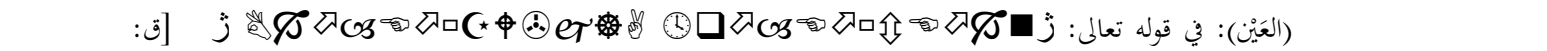
[ق: 23-24].

---

[1] جاء في اللسان: " الطَّشُّ من المطر فوق الرَّكّ ودون القِطْقِط، وقيل أَولُ المطر الرَّشّ ثم الطَّشّ ومطر طَشٌّ وطَشِيشٌ قليل". لسان العرب، مادة (طشش)، 6/ 311.

[2] الكحُّ: هو الخالص من كل شيء كالقُحِّ. لسان العرب، مادة (كحح)، 2/ 569

[3] أفادني بهذه العبارة وبفكِّ رموزها أحد شيوخ المنطقة الأفاضل، توفي رحمه الله قبل ثلاثة أشهر وكان عمره 85 سنة، ولكن يبدو أنَّ العبارة ناقصة، لأنَّ هناك بعض الحروف لم تذكر فيها كالميم –مثلا– في قوله تعالى: (ممَّزَّقٍ اِنَّكُمْ) وغير ذلك، ولعلَّ العبارة الكاملة سقطت منها بعض الحروف.

(الكاف): في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الفتح: 29].

(الحاء): ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [القارعة: 11، والتكاثر: 01].

(الزاي): ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور: 11].

(الغَيْن): ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: 47].

ط- مجرد: وصورته هكذا: (✌)

نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 53].

ي- خُلاَّم[1]: وصورته هكذا: (✌)

مثل: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: 48]، قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ [الزمر: 20].

ولعلَّ سببت تسميته بهذا الاسم أنه أخ للاَّم وشبيه له، أو أنَّ هذا الألف لا يلحق إلا اللام ولعل هذا هو الأصوب. والله أعلم.

11- قطعي: ويأخذ صوراً ثلاثة، وهي: (✌) ، (✌) ، (✌).

نحو: ﴿✌﴾ و ﴿✌﴾ و ﴿✌﴾ .

ملاحظة:

أ- يذكر أن من أنواع الألفات الألفَ الزائدة؛ والتي يجعل عليها دارة علامة لزيادتها، وتجعل الهمزة بعدها على الياء، وحركتها نقطة بالحمراء عليها[2]، وصورته هكذا: (✌)، لكن أولئك الشيوخ يسمونه "ألف الفرق"، ولم يذكروا سببا في عدم عدِّه ضمن

[1] يسمونه هكذا ولم أهتد إلى معناه، ويبدو أنه يشبه اللام في الرسم –فجعلوه أخاً له- والله أعلم.

[2] أصول الضبط، ص219.

الألفات الإحدى عشرة المتقدِّمة، ولعلَّ سبب ذلك كون هذا الألف من الأحرف الزائدة المتضمَّنة في قاعدة الزيادة[1] يقع في طرف الكلمة وفي وسطها، والكلام عن الألفات المرسومة وكيفية ضبطها.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﮋ ②▭⌑⬀✌☼☞⬀♋⬀☺⬀☸⑩⑦♋ ❺ ⊘⬀☞✡⬀♎⬀⑩⑦⏲⬋ ﮊ ، وقوله: ﮋ ③⬀ॐ✌☞⬀☪♋☐☙✌☼ ﮊ.

ب- كما يذكر أنَّ اللام التي تسمى عند أهل الضبط بالمظفَّرة -وهي المركَّبة من لام وألف- كما في قوله تعالى: ﮋ ✌⭘☐⮚ℯℊ⮘☸☜🖫★⑥ॐ ﮊ وقوله: ﮋ ☙⮶☙⛿✧⌘☞⬀♋♓💻☸✞☼ ﮊ يسميها أولئك الشيوخ والمعلمون: "ألف مرشوق"[2].

ثالثا: مظاهر العناية بأحكام الفتح والإمالة

لم تكن الكتاتيب والزوايا القرآنية في وقت سابق تعنى بأحكام الإمالة، ولم يكن للشيوخ معرفة معمقة عن أحكامها، ولكن الشاهد أنَّ هؤلاء الشيوخ قد تلقوا عن شيوخهم شيئا من تلك الأحكام وأدَّوه إلى من بعدهم، ومن مظاهر ذلك درس الإمالة كما يأتي:

1- يبين الشيوخ للطلبة أنَّ النقطة المصوَّرة أسفل بعض الحرف؛ كالهاء كما في قوله تعالى: ﮋ ❍☸⑩✈✍ ﮊ [طه: 01]، والياء كما في قوله تعالى: ﮋ ②⊘✌📭 ✌📖🔔☞⬀☪⬀♦☯☸ℯℊ☼⬀☜⬄☸✌ ■⊘♓☸⬀☜♋⬁⬀⑥ॐ ✌☸✍ℯℊ☼⌖☪♋⬀♦⮚▪⊘✌◆⬊ ℯℊ⬅⬀☜⇳☸⊠✿⊠⌖☪✈♋⬉⬇ ﮊ [طه: 01]، وقوله تعالى: ﮋ ☐⬊✌ℯℊ☜♋⬁♒🏳 ☞⬀♋⊘❍☪☼⬀⊠✿⊘♋⬇ ﮊ [الليل: 01]، وكالراء كما في قوله تعالى: ✌♊▭❒♈ॐ✌ ﮋ ☐⬊②⊘✌📭 ✌📖🔔❒☼♦☝☞⬀♋⬀✍⑥ॐ ②⊘✌ ✌☸✍ℯℊ☼⬀❍⊘⬀⌖☪☸⬀☜✡⬀⊘⑩⑦♋ ﮊ [البلد:11]، وكالراء المتطرفة والمكسورة كسرة إعراب والمسبوقة بألف؛ نحو: ﮋ ☐⬊✌ℯℊ⬀☜⬄⬀✨❍⓿☝✌♦♊ ﮊ ، ﮋ ✌⭘✍☙☙☸☞⬀✡⬁❽⊘🖫✂⬀♦🏳 ﮊ، ﮋ 👍✍ℯℊ❑⊘⊘✌♦♊ ﮊ وغيرها، هذه النقطة تدل على إمالة الحرف وتقليله، ويسمونها "التعويضة"، فيصفون الحرف الممال بأنه يُعوَّض؛ أي يُعدل عن الأصل "الفتح" إلى عوضه وفرعه "التقليل أو الإمالة"[3].

---

[1] معلوم أن قواعد أو خصائص الرسم، منها: قاعدة الزيادة والنقصان، وقاعدة الحذف والإثبات، وقاعدة الفصل والوصل وغيرها.

[2] لعلهم يقصدون بها أنَّ الألف رُشقت في اللام كما يرشق السكين، وقد سبقت الإشارة أنَّ أغلب تلك المصطلحات إنما هي تشبيه وتقريب.

[3] مما يؤخذ عليهم أنهم لا يميزون بين التقليل -بين اللفظين أو بين بين- والإمالة الكبرى، كما في (طه)، وذلك لأنهم -كما سبقت الإشارة- ليسوا أئمة تجويد وأداء وإنما شيوخ زوايا يُعنون بحفظ وتحفيظ القرآن بالدرجة الأولى.

2- كما يبينون لهم أنَّ هذه النقطة كانت تصوَّر حمراء[1] في المصاحف المستنسخة بخط اليد.

3- كما ينبهون الطلبة على أنَّ الحكم لا ينسحب على بعض المحالِّ كما في قوله تعالى: ﴿ [الكهف:22]؛ فيقعدون لذلك قاعدة طريفة بلغة عامية يحفظها الصغير والكبير مفادها: "فلا تمارِ ما يعوَّضْها غِيرْ الذْراري".

ومن أمثلة القواعد الطريفة أيضا أنهم ينبهون الطلبة على رسم بعض الكلمات الخارج عن قاعدته، من ذلك قوله تعالى: ﴿ [الحج:04]؛ فقد كتبت (تولاه) على الألف الطويلة مخالفة بذلك نظائرها من ذوات الياء المكتوبة على الياء[2]، نحو: ﴿ [البقرة: 245]، و ﴿ [النحل:121] وغيرها، وقعَّدوا لذلك قاعدة مفادها: "من تولاَّه نقطة تحتاه[3]"؛ بمعنى أنَّ الألف (تعوَّض) أي تمال، ولا يمنع رسمها على الألف الطويلة –مخالفة لنظائرها من ذوات الياء– عدم إمالتها ولكن الرَّسم عندهم توقيفي.

رابعا: بعض الأقوال المحفوظة في مباحث قرآنية مختلفة

خلَّف أولئك المعلمون والشيوخ الكبار والمهتمون بكتاب الله عز وجل أقوالا مختلفة تعدُّ بمثابة القواعد لمباحث قرآنية مختلفة، وهذه الأقوال وإن كانت بسيطة ومباشرة وطريفة أيضا، فإنها مع ذلك تتناسب ومستواهم الثقافي والعلمي آنذاك، والأهم من ذلك أنها تختصر أمام الطالب والباحث مسافات البحث وعنائه، من ذلك:

1- قولهم: "قال ربِّ اكسرني"، وليس معناه ما تحمله ظاهر العبارة، وإنما يشيرون بقولهم هذا إلى مسألة في غاية الأهمية في "باب الرسم والضبط"؛ وهي ضبط ألف (انصرني) بألف (مكسور)[4] هكذا: (﴿) في قوله تعالى: ﴿ [المؤمنون:26]، فاستعاضوا في عبارتهم عن كلمة (انصرني) بكلمة (اكسرني)؛ تنبيها للطالب على نوع الألف في الكلمة.

---

[1] تحدَّث علماء الضبط في كتبهم عن هذه المسألة وألوان النقاط المستعملة.

[2] يشار أنَّ هذه الكلمات تشتمل عليها قاعدة البدل؛ وهي قاعدة من قواعد الرسم الستة. انظر: مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م، 1/ 256.

[3] للأمانة فإن هؤلاء الشيوخ يصوغون (تحتاه) بعبارة أخرى تعود على (مقعدة الإنسان)، لم أشأ إيرادها بلفظها ههنا تنزيها للمقام والقارئين الكرام.

[4] سبق الحديث عنه في أنواع الألفات.

2- قولهم: "(فلاَ تمارِ) ما يعوَّضْها غير الذْراري"؛ وقد سبق الحديث عنها في موضوع الفتح والإمالة، وهي تنبيه الطالب على أن الرَّاء في كلمة (تمار) –كما يقول أهل الأداء- مكسورة كسرة بناء لا كسرة إعراب[1]، فخرجت عن القاعدة.

وفي قولهم هذا أثر تربوي، مفاده أنَّ الطالب يربأ بنفسه أن يكون من الصِّغار –المبتدئين- الذين لم تغبرَّ أقدامهم في طلب العلم؛ أعني حفظ القرآن الكريم ورسمه وضبطه.

3- قولهم: "(تترًا) ألف كالمدرة"؛ ومعناه أنَّ ألف كلمة (تترا) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المومنون: 44]، ترسم ألفها طويلة كالمدرة[2].

ولا يخفى ما في هذه العبارة من آثار تربوية وتعليمية، منها:

أ- التمثيل بالأشياء القريبة والمعروفة لدى المتعلمين أسلوب قرآني ونبوي معروف في التربية والتعليم.

ب- رسمت (تترا) بالألف الطويلة، والأصل أن ترسم على الياء (تترى)[3] ويجوز أن تنوَّن؛ ولذلك نبَّه أولئك المعلمون طلبتهم على هذا الأمر، وكلمة (تترا) المرسومة بالألف تدخل في قاعدة البدل[4] وفي قاعدة ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما أيضا[5].

4- قولهم: "(من تولاه) نقطة تحتَاهُ"؛ وقد سبق إيرادها وشرحها آنفاً.

5- قولهم: "تقاة توراة مع إناه وحرف مزجاة فلا تنساه"؛ إشارة إلى تقليل الألف في هذه الحروف ورسمها على الياء[6].

6- اعتناؤهم بقضايا المحذوف والثابت وتنافسهم فيه، ومن أمثلة ذلك:

---

[1] الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1412 هـ - 1992م، ص151.

[2] جاء في القاموس المحيط أنَّ المدرة تشبه العتلة، والتي هي: حَديدَةٌ كأَنَّها رأسُ فَأسٍ، أو العَصا الضَّخْمةُ من حَديدٍ. انظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م، ص1029.

[3] قال الفيروز آبادي: "وجاءوا تَتْرَى، ويُنَوَّنُ، وأصلُها وَتْرَى: مُتواتِرِينَ. القاموس المحيط، ص490.

[4] سبق الحديث عنها.

[5] وقاعدة ما فيه أكثر من قراءة ورسم على أحدها تمثل القاعدة السادسة من قواعد الرسم العثماني؛ وخلاصتها أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما. انظر: مناهل العرفان، 1/ 257.

وقد جاء في الكلمة قراءتان رسمت برسم يتحملهما معاً؛ الأولى قراءة الجمهور (تترًا) من غير تنوين وقراءة (تتراً) منوَّنة وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بن العلاء. انظر: التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1404هـ- 1984م، ص107.

[6] أفدته من فضيلة الشيخ: بن ضيف الله عبد الله حفظه الله، مدير المدرسة القرآنية بإشمول.

– قولهم: "(أمثالكم) أو (أمثالهم) تكتب ثابتة في النصف الأول من القرآن وتكتب محذوفة في النصف الثاني منه".

وهذه قاعدة صحيحة ثابتة بالاستقراء، تختصر للباحث مسألة الحذف والإثبات في هذه الكلمة؛ حيث جاءت ثابتة في النصف الأول من القرآن؛ نحو قوله تعالى: 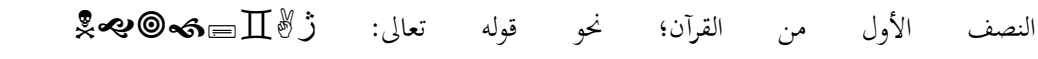 [الأنعام: 39]، وقوله: [الأعراف:194]، ووردت محذوفة في النصف الثاني منه؛ نحو قوله تعالى: 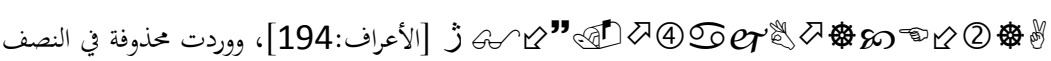

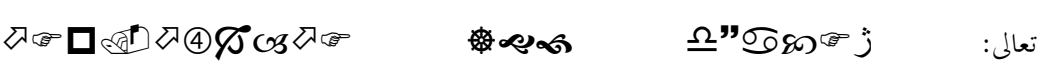

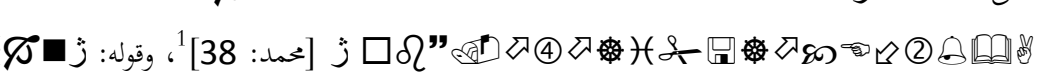

6– قولهم سؤالا وإلغازاً: "كيف وردت تاء "العقدة"؟ هل هي مربوطة أم مبسوطة (مفتوحة)؟".

يمثل هذا اللغز مجموعة كبيرة من الألغاز المتعلقة بمختلف مباحث القرآن، يلقيها الشيوخ على طلبتهم ويسألها الطلبة بعضُهم البعضَ، ويصطلحون على هذه الألغاز بتسمية خاصة، وهي: "المجَادَلات"[2]، وفيها من روح التنافس وشحذ القرائح والهمم ما لا يخفى.

والإجابة عن هذا اللغز يحتاج زيادة على إتقان الحفظ إلى ذكاء وقوة استيعاب؛ لأن الإجابة عنه بأي الاحتمالين يعدُّ خطأ فاحشاً ومضحكاً في آن معاً، وذلك لأنَّه لم ترد كلمة (العقدة) في القرآن مطلقا، وإنما وردت كلمة (العقد) في سورة الفلق.

ومثل هذه الألغاز تبيِّن مدى عناية تلك الزوايا القرآنية –على بساطتها وقلة زادها في العلم– بموضوع الرسم عموماً وما يبدل من هذه الهاءات تاء مبسوطة.

7– عنايتهم بمسائل العدِّ والتحزيب والتثمين: ومن مظاهر ذلك:

أ– أنهم يحفِّظون الطلبة أحزاب القرآن وأنصافه وأرباعه وحتى أثمانه، ويستعينون على ذلك باللوحة فيكتبون فيها رؤوس الأحزاب الستين جميعا ويحفظونها كما يحفظون أي سورة من القرآن، وقد يفعلون كذلك مع الأنصاف.

ب– يصطلحون على نصف الثمن باسم (الخُرُّوبة)[1].

---

[1] نكتة: يلاحظ أنَّ الشاهد في سورة الأنعام وسورة محمد يحمل رقم الآية نفسه وهو الآية (38).

[2] ويقصد بها ما يكون مثار سؤال وجدل بين الطلبة والشيوخ وهو كثير؛ من ذلك قولهم: "كم جاء في القرآن من: (رحمت) أو "نعمت" أو "سنت" أو غيرها بتاء مبسوطة؟ وكم جاء في القرآن من كلمة ما محذوفة أو ثابتة؟"، وكم وردت (آباؤهم) في القرآن؟ وهكذا.

ج- عُني الشيوخ كذلك بمعرفة أوساط السور تحديدا وذلك بعدِّ حروفها وكلماتها، ومن أمثلة ذلك ما حدَّثني أبي عن شيخه أن "منتصف سورة البقرة تحديداً هو كلمة (ينعق)؛ وأنَّ نصف هذه الكلمة (يَنْ) مع عدد حروف الجزء الأول من سورة البقرة يساوي النصف الثاني من هذه الكلمة (عِقُ) مع الجزء المتبقي من سورة البقرة"؛ وفي هذا من الدِّقة والحرص ما لا يخفى.

9- عنايتهم وتمييزهم بين السور عسيرة الحفظ من غيرها: ومن أمثلة ذلك:

أ- "قولهم: سئل الذئب، هل باستطاعتك حفظ القرآن؟ فأجاب: يمكنني ذلك لو أعفيتموني من حفظ (اللواميم)، و(الروامیم)، و(الطواسيم)، و(الحواميم)، و(السوابيح)![2]"، فما ذا بقي من القرآن بعد هذا؟!

وهذا الكلام يقال لمن يستهين بحفظ القرآن ومراجعته يوميا؛ فهو كما قال صلى الله عليه وسلم: (تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها)[3]، ويعبرون عن هذا المعنى بقوله بالعامية: "يقول القرآن: انساني ليلة ننساك عام".

ب- تمييزهم لبعض السور سهولة وعسرا وقولهم عنها: "(البقرة) حل فمك تقرا"؛ كناية عن يسرها وسهولة حفظها عموما، وعن سورة النساء: "النساء حل فمك تنسى"؛ كناية على صعوبة حفظها، وعن سورة الأعراف: "الأعراف ما يقراه غير طالب خواف ولاَّ شيخ هتراف"؛ ويقصدون بذلك أن سورة الأعراف صعبة وعسيرة الحفظ لكثرة المتشابهات فيها مع سور أخرى كسورة هود[4]، فلا يستطيع حفظَها إلا طالب يخاف من عصا شيخه حينما يطالبه بذلك أو شيخ هرم قضَّى حياتَه في حفظ القرآن، فمن كثرة تَرداد القرآن وتَكراره لا يجد صعوبة في استحضار السورة، وهكذا مع بقية السور.

ج- تخصيصهم لبعض المواضع صعبة الحفظ؛ كما جاء قولهم في سورة البقرة على سبيل الطرفة والنكتة: "وإن عزموا ضيَّقْنَا، والوالدات شيَّبْنَا، تلك الرسل فضَّلنا رجاء يا شيخ سرَّحنا[5]!".

ويقصدون بقولهم أن هذه المواضع من سورة البقرة عسيرة الحفظ نوعا ما إذا ما قورنت بغيرها، وتتميما للكلام المسجوع يتمنى الطلبة أن ينهي شيخهم الحلقة ليسرِّحهم ويستريحوا من عناء القراءة والحفظ المرهقين.

---

[1] هكذا يسمونه، ولقد اجتهدت في البحث عن معنى الكلمة فلم أصل إليه، وقد يريدون به هدم "الثمن" وتجزئته إلى نصفين حتى يتيسر على الطالب حفظه، والله أعلم.

[2] يعني باللواميم أخوات: (✌📖🕮☸❎"◥ ¤ 🕶✍)، وبالروامیم أخوات (✌📖🕮☸❎◥♦✍🕶✍)، والسوابيح أخوات (سبح) و (يسبح) وهكذا.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن، رقم: 790. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، 1/ 543.

[4] والتي يقولون عنها هي الأخرى: "هود سلاَّخ الجلود"؛ كناية على صعوبة حفظها وسرعة ذهابها هي الأخرى.

[5] والآيات من سورة البقرة: (وإن عزموا الطلاق) [227]، (والوالدات يرضعن) [233]، (تلك الرسل) [253].

خاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة في رحاب بيوت القرآن الكريم ومحاضن حفظته وقارئيه نخلص إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1- يعتبر الكتَّاب أو الزاوية القرآنية أولى المراحل التربوية والتعليمية في الجزائر عموما وفي منطقة الأوراس خصوصا والتي عُنيت بتحفيظ القرآن الكريم وتنشئة النشء على تعاليم كتاب الله تعالى وآدابه.

2- تتمتع الزوايا القرآنية في الجزائر بنظام إقرائي صارم وبمنهجية تدريسية خاصة ومتميزة.

3- تعتبر تجربة المدرسة القرآنية بدائرة إشمول في الدرس الإقرائي تجربة فريدة في منطقة الأوراس على بساطتها وقة إمكاناتها؛ بما تزخر من به عادات وتقاليد وبما تحافظ عليه من طرق عتيقة في نظام الإقراء.

4- تتميز المعرفة العلمية لدى هؤلاء الشيوخ وطلبتهم بالبساطة والسَّذاجة مصبوغة بألوان من الطُّرف والنُّكت.

5- رغم محدودية المعرفة لدى شيوخ الزوايا والكتاتيب القرآنية إلاَّ أنهم نقلوا إلينا بطريقتهم الخاصة معلومات مهمَّة في علم القراءات و التجويد والرسم والضبط.

6- قامت الكتاتيب والزوايا القرآنية بأدوار علمية وتربوية واجتماعية لا مجال لإنكارها، سواء ما تتعلق بنقل المعلومات وإيصالها إلى المتلقين في مباحث قرآنية مختلفة، أو ما يتعلق بتربية الطلبة على حب كتاب الله تعالى وإكرام من له فضل عليهم، وكذا تكوينهم تكوينا نفسيا واجتماعيا صحيحاً.

7- يلاحظ أنَّ هذه الزوايا القرآنية –بالرغم من أهميتها ودورها في المجتمع- إلا أنَّ فيها نقائص ومحاذير مختلفة؛ سواء ما يتعلق بالناحية العلمية، فلا يملكون في كثير من الأحيان المعلومة الكاملة في مسألة معينة أو تعليلا لها أو تفسيراً متَّجهاً يركن إليه الباحث ولا يهتمون كثيرا بالتفسير والمعاني؛ وذلك لمحدودية المعرفة لديهم ولكونهم معلمي قرآن بالأساس لا أئمَّة في الأداء أو علماء في الرسم والضبط وغيرها.

ومن المحاذير أيضا ما يحدث من المخالفات والبدع عند بعضهم؛ كإلزام الطلبة في بعض الأماكن الاجتماع في المآتم والقبور لقراءة القرآن على الميت وتلاوة بعض القصائد الزهدية كالبردة ونحوها، ومنها أيضا ما ساد في بعض جهات الجزائر من قراءة للقرآن بطريقة يسمونها (شرقي) فيها من اللحن الجلي ما لا يخفى فضلا عن اللحن الخفي.

هذا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**: برواية ورش (مصحف مثمن برواية ورش).
- الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البَاذِش، ت: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، د.ط، د.ت.
- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1404هـ- 1984م.
- الدرر البهية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، أسامة بن عبد الوهاب، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط2، 1425هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط8، 1426هـ- 2005م.
- المحكم في نقط المصاحف، عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو، ت: د. عزة حسن دار الفكر، دمشق، ط2، 1407هـ.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار الساقي، بيروت، ط4، 1422هـ- 2001م.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن القفطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1406 هـ- 1982م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: حسن هنداوي دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- فتح الأقفال شرح تحفة الأطفال في علم التجويد، ت: عبد الكريم حسين السعدي وحسن غازي السعدي، جامعة بابل، بغداد، د..ط، 1431هـ-2010م.
- كتاب أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، أبو داود سليمان بن نجاح، ت: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، 1427هـ.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت.
- مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني، ت: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.
- الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، مكتبة السوادي للتوزيع، ط4، 1412 هـ - 1992م.